صريح الكلام
في
حكم عالم المنام

تأليف سيدنا ومولانا العالم العامل ، والمرشد التقي النقي الكامل
المتحلي بحسن الخلق وسائر الفضائل ، السيد محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي
قدس الله سره ورضي الله عنه

بتوجُّهات مدير الدائرتين ، وهمّة القائم في الرحبين
ونائب الأقطاب الوُرّاث ، أبناء الإمام أبي العَلَمين
القائم بنشر العلم والحال المحمدي ، ورافع لواء الطريق الرفاعي الأحمدي
سيدي صاحب الفضيلة الشيخ محمود عبد الرحمن الشقفة حفظه الله وأيّد به الاسلام والمسلمين

عني بكتابتها وتحقيقها وترتيب جمعها ، واكرم بتصحيحها والإشراف على سير طبعها
طفيلي مائدة الآل ، والمستشرف بأعتابهم عند نُوّابهم لخدمة النعال
أفقر الورى ، وأحقر من ترى
عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط
السقباني الدمشقي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين

الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هجرية

على نفقة جامعها وأخيه في الله المحسن الفاضل الحاج محيي الدين غنام أحسن الله للجميع الختام

توزع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد فيقول العبد المستمسك بحبل الله في كل الشؤون والمساعي محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي ، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين إنه البَر المعين .

هذه رسالة لطيفة سميتها (صريح الكلام في حكم عالَم المنام) إن عالَم المنام عالَم وسيع ، حِماه منيع ، له غرائب شؤون ، وعجائب فنون ، يعلمها العالمون ، ويجهلها الجاهلون ، وهو متى طرق النوم النائم يمد بساطه ، وتفتح أسفاطه ، وتبرز جواهره ، وترفع أشائره ، فالنوم بابه ، والغيبة عن الوجود الخاص والوجود العام محرابه ، فإذا محقت علة النوم النظر إلى الوجودين الخاص والعام ، وتعطّلت سوابح العقل والفكر والخيال والحفظ والتدبر والرأي والرضا والغضب والأمل والعمل عن المبادرة لما يلايمها من الأحكام ، ووقفت الروح في مركزها ، ممتدة الشعاع ، مجردة عن الموانع التي تمنع سبّاح ضوءها أن يسير ،

وتقيّد جناح عزمها أن يرتفع ويطير ، فهناك تسبح تلك الأشعة التي لم تنفصل عن مركزها الثابت في الوجود ، وتمـــر في العوالم العلوية والسفلية متمحضة بالشهود .

وهنا كلام لا بد منه ، ولا غنى عنه ، وذلك أن الأرواح من حُكم النوع الأمري على نمط واحد ، ولكـن من حيث الطراز السِّري مختلفة شؤونها ، متباينة فنونها ، كأَّ هلها على طبقات وكذلك قال تعالى (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) فلكل روح من نوع سرها منصة ، ولها من حكم منصتها حصة ، فإذا تعيّن لك أيها اللبيب شأن هذا النمط العجيب ؛ عرفت أن كل روح تسبح أشعتها في عالَم الكيان ، وتقف في حضرة شهودها على علم ما صح لها به العيان ، وتعيده حسب قابليتها حالة انجماعها وعوْدها إلى مستقرها فتفرغـه في القلب ، ويندمج في العقل ، ويتدلّى إلى المخيلة فتدليه إلى الحافظة فإذا استقرّ بها صحّ للسان المرء ترجمته ، وإنما شأنه بنسبة حال الروح ؛

فروح يُريها الله الرؤيا الصالحة ، وروح يُغالطها الشيطان فيكذب عليها وهي تكذب على من استقرت به ، ولهذا السر قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ـ حين قال له رجل جاء إليه رأيت في المنام كأن رأسي قُطع ـ « إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدِّث به

الناس » وقد ضحك النبي ﷺ من قول الرجل ؛ وفي حديث آخر « الرؤيا الصالحة من الله والحُلم من الشيطان » وقد يخامر زور الشيطان أشعة الروح الطيبة فيُبْرز لها الأغاليط ولكن صدق السر والنور الأصلي الذي قام في الروح يردّان أغاليطه عليه ، ولذلك جاء في الخبر عن النبي الصادق الأبر ﷺ « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً وليتحول عن جهته التي كان عليها » وروى عن الإمام محمد بن سيرين رضي الله عنه أنه قال: الرؤيا ثلاث حديث النفس ، وتخويف الشيطان ، وبُشرى من الله ، فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحـــد وليقم فليصلِّ . وبعضهم رواه عنه مرفوعاً فَلْيُعْلَم ؛ ومع ذلك فالرؤيا الصالحة وحي المؤمن وقد كان عليه الصلاة والسلام قبل أن نزل عليه الروح الأمين بالوحي يرى الرؤيا فتجيء كَفَلَق الصبح ، وكذا أصحاب الأرواح النيِّرة المتحققون بالحال والطور والمشرب النبوي ، وفي الخبر « إذا تقارب الزمن لم تكد رؤيا المؤمن تكذب » وقد ورد هذا الحديث الشريف برواية أُخرى بهذا المعنى ، فوسواس يقوم بالنفس من حرص أو أمل أو حِقد أو غرض أو حاجة أكبَّت النفس عليها يتبع ذلك حال غير صالح ، وطعام غير حلال ، وكلام بقيت رعونته في الطبع لم يكن

بكلام طيب والنائم ينام على هذا فتسبح أشعّة روحه من طريق الخيال الذي انتسقت به حالة من الحالات الـــتي ذكرناها فتنحجب الاشعّة الروحية بأبخرة تلك الحالة عن السير وتأخذ منها ما تُلفّقه خبط عشواء في فاحمة ظلماء ، وهنالك تكون الرؤيا مطابقة لما في خزانة الخيال من غُبار الحرص أو الأمل أو الحِقد أو الغرض إلى غير ذلك ، ولِسَعة عالَم المنام عدّ القوم أهل الله الرؤيا انموذج الوعد والوعيد .

قال شيخنا القطب الكبير السيـد محمد بهاء الدين مهدي الصيادي الرفاعي الشهير بـ(الرواس) طيّب الله مرقده ، كل حـكم سماوي له دليل في ذات الإنسان وذلك لإقامة الحجة عليه ليرجع في كل شؤونه إلى الحق ؛ هذا الوعد والوعيد قام انموذج حكميها في الرؤيا فقد يرى الرجل شيئاً لطيفاً ، ومنظراً كريماً فتطيب لذلك روحه ويجلس بعـد اليقظة ناشط الهمة ، ريِّض الخاطر ؛ وقد يرى شيئاً قبيحاً ، ومنظراً هائلا فتنقبض لذلك روحـــه ، وتخاف بشريته فإذا استيقظ جلس منزعج الخاطر ، فاتر الهمة ، مُشوّش الفكر ؛ فالرؤيا اللطيفة انموذج الوعد ، والرؤيا المخيفة انموذج الوعيد . انتهى كلامه الشريف .

ولما كان الكشف الذي يقع للعارفين حين يُطلعهم الله تعالى على سرّ غيبي من أسرار الكيان يحصل للروح والروح هي التي تكون

محل الإفاضة الربانية ومهبط سر الإلهام ولا يكمل ذلك أعني الكشف إلاّ لروح أزالت حجاب الوجود الخاص ،ومزّقت بُردة رؤية الوجود العام ، وتحققت بحكم خبر « موتوا قبل أن تموتوا » وأهل هذه المزية هم الأقلاّء وقد كرّم الله تعالى بني آدم ، ومن سر هذه التكرمة النوم وبه يتعطل حكم القالب ، وتبقى الروح مجرّدة فتسبح أشعّة كل روح في عالم الكيان لكي تأخذ كل روح حظها من مائدة الكرم بنسبة ما يبذله المرء بهذا السبيل النيِّر لإطافـــة روحه في عالَم الكيان من صرف الإرادة الجزئية للأعمال المرضية ، وحُسن النية بشأن كل فرد من أفراد البرية ، وبعد لفت عِنان الإرادة الجزئيـة لشرّ أو خير يقوم على كل نفس منادي قوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) فإن كان عزم الإرادة منصرفاً لخير أُلْهمت النفس بالارادة الكلية تقواها ، وإن كان منصرفاً لشرّ أُلْهمت فجورها ، ومن هذا النمط سبح أشعـة الروح فإن كانت الروح نيِّرة ، والسريرة طاهرة رجعت أشِعَّة الروح بالعلم اليقين ، والإشارة الصحيحة ، والإفاضة الصريحة وإلاّ فقد ترجع بالخبط الذي لا يفصح إلاّ عن غلط ، وإن قام الوسواس يغالط الروح النيّرة فدواء ذلك ما نُص في الشرع من البصق على اليسار ثلاثاً والاستعاذة ثلاثاً والتحول عن الجهة ، وفي هذا من سر الحكمة النبوية العجائب .

فإن الجهة اليسرى من صدر الانسان مركز الروح ، وكون الوسواس بادَر الروح بمغالطته فالبصق عليه والاستعاذة بالله منه تفيد نزع مادته المشابة بأشعة الروح ببركة الاستعاذة بقدس الله تعالى منه ، والتحول من الجهة التي تكون عليها إلى الجهة الأُخرى انقلاب عن مجرى الوسواس من أي طريق جاء وإلى أي غاية انتهى ، ولا ينكر سبح اشِعّة الروح في عالم الكيان إلا جاهل أو خب مبطل .

وتدبّر قول سيدنا ومولانا الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ونصه :

أنكر أقوام من أهل البغي والبطلان طيران الروح إلى العوالم المقدسة ، والمعالم العلية ، وذلك لغلظة حجابهم ، لو أدركوا انعكاس تلك العوالم للروح حين ينصرف عنها حجـــاب الوجود بالنوم ، وتدبروا نظام الرؤيا لقنعوا بانموذجها ؛

نعم للخاطر هـدس ينقلب شكله إلى طارقة الدمـاغ من طريق الفكرة فيقيم لها مثالاً فتلك الرؤيا الكاذبة تحدث من غلبة خيـال أو تعب جسم أو من اغلاق ابخرة طعام أو من احتلال طارق سرور أو خوف ساحة القلب فهذه الأمور يتولد منها الهدس الخاطري ، وقد يكون من جازم نية وهذه النكتة فيها فارقة فإن كانت غـير معينة

الكيفية لا رسم لها في لوح الخاطر توطدت بالذكر والعمل المبرور بالوقوف في باب الله ، والاستفاضة من رسوله ﷺ أو نية معينة توجهت لكشف حقيقتها الغير معلوم وجهة الهمة بالاستخارة فالرؤيا هنا رؤيا استدلال وإن كانت قائمة عن جازم ولم تُوطَّد بذكر أو عمل مبرور واستفاضة صالحة فالرؤيا هنا رؤيا خبط نتج من الجزم ، وقام مع الهدس فانقلب لطارقة الدماغ وأقام لها مثاله وهي كاذبة ، وإن خلت عن كل هذا مع السلامة من منازعات الشرع ، ونشأت عن وارد غيبي فتلك الرؤيا الصادقةالتي تصلح للتعبير وهي من استكشاف الروح . انتهى بلفظه الشريف .

والذي فهمناه من تقرير شيخنا قطب الزمان السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بـ(الرواس) رضي اللهعنه أن كل إنسان من أي دين ومذهب كان له من سبح أشعة الروح نصيب فإن كان مؤذياً لخلق الله تعالى سيِّء النية للناس منحرفاً عن معتقداته التي يزعم أنها من الحكم الحق فسبح أشعة روحه لا يوصله إلا إلى غلط أوإلى إنذار معنوي أو إلىإشارة ترجع إلى حظدنيوي ينقلب حال النتيجةعليه بسوء أُخروي ويبدو له منه ما لم يكن بحسبانه من كدر مطوي في ذلك الرمز الروحي ؛

وإن كان نافعاً لخلق الله حسن النية للناس ، واقفاً مع ما يزعم أنه من الحق من معتقداته منزّهـا سره عن السوء للذرات الكونيـة على اختلاف مشاهدها النوعية فسبح اشعة روحه تصل إلى حقيقة تصلح للتعبير ، وتُظهر له من أسرار الكيان كل معنى رقيق ينتفع بفحواه إذا دلّه عليه الخبير ، وما كل ذي علم معبّر ، ولا كل متكلم يصلح أن يقرّر ؛ فإن التعبير يحتاج لحسن التعبير والتقرير ، وقد نُهينا عن ذكر ما نراه لغير المحب فإن الرؤيا سر من أسرار الله تعالى المطوية في لُباب الكون ؛ والألسن أقلام القدر ، فإذا قُصّت الرؤيا المجهول معناهـا على المحب ولو هي على غير المطلوب كتب على صحيفة سرّها بقلم القدر أعني بلسانه تعبيراً حسناً وأوّلهـا تأويلا لطيفاً فتأخذ الصحيفـة السرية خطها من قلم القدر والله أكرم من المخلوقين ، وهذا المخلوق الضعيف أراد لأخيه الخير فعبّر رؤياه بخير فالكرم الإلـهي يُمضي له ذلك ؛

وإذا عبّر الرؤيا غير محب فطرق صحيفة السر بقلم القدر بمالا يصلح سرى القدر على ما هو عليه على الغالب ولحكم هـذا السر قال رسول الله ﷺ « الرؤيا الصالحة من الله والحُلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يُحدّث به إلا من يحب فـإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل ثلاثاً ولا يُحدّث بها أحد فإنها لن

تضره » ولقد دقّق النظر أئمة العارفين بحكم الرؤيا الصالحة لكونها جزأ من ستة واربعين جزء من النبوة ، وما كان من النبوة فإنه لا يكذب كذا أخبرنا حبيبنا ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ « لم يبق من النبوّة إلا المبشرات » قالوا وما المبشرات . قال « الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له » وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى اقبل على اصحابه بوجه الكريم وقال « من رأى منكم الليلة رؤيا »؟ فإن رأى أحد منهم رؤيا قصها عليه ﷺ فيقول ما شاء الله ، وقال عليه الصلاة والسلام « الرؤيا على رِجْل طائر ما لم تُعبَّر فإذا عُبِّرت وقعت » وقال « ولا تقصها إلا على وادٍ أو ذي رأي » وإن اشرف ما يكون من الرؤيا الصالحة التشرف برؤية النبي ﷺ في الرؤيا ، وقد قال عليه افضل الصلاة والسلام «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثّل في صورتي» وقال ﷺ « من رآني فقد رأى الحق » اي رأى الحق الذي لا يشاب به باطل . نعم إن رؤيته عليه الصلاة والسلام في الرؤيا تحتاج لعرفان عظيم في التعبير فإن ذاته الكريمة مدار اسرار الوجودات ، والمحور الأعظم الذي تدور عليه رقائق شؤون الكائنات ، وهي المرآة العظمى التي تنطبع بها الصُّوَر على اختلاف مقاماتها ، وتباين احوالها ولذلك فذاته المقدسة المكرمة تنجلي في منصة جلالها وهي هي بلا

ريب ، غير ان لوح مرآة جمعها الأعظم تبرز فيه لعين الرائي حقيقة ذاته لا حقيقة الذات المقدسة المحمدية واين هو من الاطلاع على سر الحقيقة المحمدية التي انطوت بلوح نورها جميع الحقائق وهذا معنى قوله ﷺ كما تقدم « من رآني فقد رأى الحق » فليحفظ ؛

ففي نكتة هذا السر دقيقة جليلة يجب التنبه اليها خوفاً من السقوط بوهدة الغلط في هذا المقام الخطير حمانا الله اجمعين .

ومن اسرار الرؤيا اندلاع اشعة الروح في عالم الكيان من طرائق ومناهج مختلفة فكل طريق اندلعت اشعة الروح منه اخذت حكم شهودها عنه . مثلاً سبحت في برزخ لطائف الوجود من طريق العقل او من طريق الهمة او من طريق الرياضة او من طريق الكسل او من طريق الحرص والأمل ، او من طريق العزم على التجارة او من طريق طلب التجرد والزهد او من طريق العداوة او من طريق المصافاة او من طريق الكذب او من طريق الصدق او من طريق الجوع او من طريق الشبع أو من طريق الصيانة أو من طريق التهتك أو من طريق الخوف أو من طريق الأمن إلى غير ذلك فكل طريق سبحت منه اشعة الروح إن نفذت إلى عالم الكيان لا بد وأن تأتي

بشيء من حكم الطريق التي سبحت منه ولو وقفت على أنواع العجائب الكونية ، وهناك يُعلم عرفان المعبِّر وعلو منزلته في التأويل .

ومن أسرار الرؤيا انها تعبَّر بنسبة اختلاف العناصر والأصول والمذاهب والمعتقدات والحِرفة والصنعة والبلاد وأهويتها وحرارتها وبرودتها والألسن والغُنَّة التي تندمج في لسان الناطق بنسبة لغته .

وسأضرب لك أيها المحب مثلا رأيته بذاتي فإن رجلاً بدوياً قال لسيدي ومولاي السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضي الله عنه :

اني رأيت نفسي اشرب لبنا . فقال له : هل لك غنم .؟ قال : لا . قال : سيفتح الله عليك وتقني غنماً ويبارك لك فيها . وكان في المجلس من اتباعه الخالصين رجل فقال : يا سيدي اليوم جاءني رجل افرنجي يعرفني وقد تعلَّم القليل من العربية فقال لي : رأيت اني اشرب لبنا وطلب مني تعبير رؤياه فوعدته اني سأعبِّرها له وقصدت أن اعرض ذلك على سيدي . فضحك رضي الله عنه وقال : في بلادهم اللبن غير مألوف ، واللبن غذاء عربي فإن كان تاجراً سيربح في تجارته من هذه البلاد ، وإن كان مأموراً سيزاد له في راتبه هنا . فعبَّر له الرجل رؤياه وكان الإفرنجي مأموراً فما مضى اسبوع حتى زِيد له راتبه . ومرة

أخرى جاء لخدمته رجل نجار فقال : رأيت اني خربت منبر الجامع الفلاني . فقال ستُستخدم للنجارة في ذلك الجامع . وكان كما قال رضي الله عنه ؛ وفي الحضرة قد كان رجل صائغ من النصارى فقال لرجل بالقرب منه اسمه السيد اسماعيل ياسيدي وأنا رأيت أني خربت نصف منبر الجامع الفلاني فذكر السيد اسماعيل قول الصائغ للحضرة المهدوية المباركة . فقال رضي الله عنه : للنجار أتعرف هذا المنبر الذي ذكره الصائغ ؟ قال : نعم . قال : وكم ثمن نصفه ؟ قال : خمسمائة قرش . قال للصائغ : هل عندك لخطيب ذلك الجامع شيء يصاغ من ذهب أو فضة ؟ قال : نعم . قال : خنته بخمسمائة قرش بصنعتك . فقام وقبّل الأرض وأقسم بالله أن الأمر كذلك وتاب وأعاد المبلغ للخطيب وهذا غاية العرفان فليتدبر .

فمن تصدر لتعبير الرؤيا يجب عليه ان يكون عارفاً بأسرار التأويل ، متحققاً بفهم اسرار التنزيل ، ذي رأي حاذق ، وذهن صادق ، وإلا فلا يصح له ان يتصدر للتعبير الذي هو من علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن دقائق اسرار الله المتدلية إلى القلوب الطاهرة التي اختارها اوعية لحِكَمه جلّت قدرته ، وليُعلم ان الرؤيا التي يراها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على ثلاثة اقسام : الأول حكم ،

والثاني إشارة ، والثالث بشارة ، ورؤيا غيرهم شؤونات وتلك من خصائصهم ، فرؤيا سيدنا ابراهيم بقضية ذبح سيدنا اسماعيل عليهما الصلاة والسلام هي حُكم ، ورؤيا المصطفى الأعظم ﷺ انه هز سيفاً فانقطع صدره إشارة ليوم أُحُد وأنه هزه أُخرى فعاد احسن ما كان فهو بشارة بالفتح واجتماع حال المؤمنين ، وأما رؤيا غيرهم من الصحابة فمن دونهم شؤون تكون بنسبة شأن الرجل مع الله ومع الناس ، وهذا الفارق بين ساداتنا الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات رب العالمين وبين غيرهم من الآدميين هذا ما فتح الله به ، وساعدت عليه العناية مع ما أنا عليه من اشتغال البال اسأل الله وهو البر الرحيم الجواد الكريم ان يصلح احوالنا وقلوبنا وبواطننا وظواهرنا وأن يمن علينا وعلى المسلمين بالأمن والإيمان والبركة والعرفان ، وأن يحققنا بمقام الإحسان إنه ولي المتقين والحمد لله رب العالمين آمين .

يقول طفيلي هذه المائدة : نظراً لآخر كلام المؤلف رضي الله عنه بهذه الرسالة من اشتغال باله ، وقلقه على إخوانه المسلمين ، وتوجهاته من أجلهم ؛ وكأني أرى حال خاصة المسلمين اليوم وعامتهم وتهجم أعداء الله عليهم يشبه تماماً حاله وحالهم وتهجم الأعداء عليهم آنذاك لذا حَسُنَ

أن نستغيث بما استغاث به ونستمد بقوله من مدد سر الأنام عليه الصلاة والسلام قال رضي الله عنه :

ليلُ الكروبِ علينا طال ياطَه غوثاهُ غوثاهُ كم آهٍ تَلا آها
بالله ياصاحب الجاهِ العظيم أغِثْ بنظرةٍ قبلَ وقتِ الفجرِ نلقاها
فَرِّجْ بجاهِكَ كرْباً مسَّنا عظُمتْ
بلواهُ فاصرِفْ بسرِّ اللطف بلواها
حوِّلْ ركابكَ ياسرَّ الوجودِ وقُلْ باتوا بليلةِ خيرٍ طابَ مَثْواها
غوثاهُ يامُصطفاهُ انْظُرْ بمرحمةٍ عصابةً قد أضرَّتها خطاياها
ويا أبا القاسم الغوثَ الغياثَ فقد ضاقت بنا الأرض أقصاها وأدناها
يا تاجَ كلِّ رسولٍ للإلَه أغِثْ فمن سواكَ لعينٍ سالَ مجراها ؟
يا أغْيرَ الخلقِ ياسيفَ الإلَه ويا مَنْ قامَ في كلِّ طَورٍ ينصُرُ اللهَ
اللهَ اللهَ بالقوم الضِّعافِ فما يحمي الضِّعافَ بخطبٍ غيرُ أقواها
مولايَ يامَوئِلَ الآلِ الذين لهم إليك آمالُ ظَنٍّ جلَّ معناها
خذ بالتَّصرُّف واصنع بالمُروءةِ ما يطوي بليلتنا إصلاحَ مَجْلاها
واسْبِلْ رداءَ المعالي فوقنا كرَماً بحالةٍ لا يَشينُ الدهرُ عَلْياها
ذلَّت قلوب حسام الكرب جرَّحها وطالَ مِنْ ألمِ العصيانِ مَدماها
فداوِها بعزيزِ النصر يا سندَ الـ لاجينَ واسبِل عليها الستر ياطَه